المبحث التاسع عشر

نفع الناس بكف الأذى عنهم

نأتي إلى خاتمة المطاف في الطرائق العملية لتفعيل المسلم لنفع الآخرين ، وهي كفُّ الأذى عنهم .

❁ وكفُّ الإنسان أذاه عن الآخرين تحصُل به سلامتهم،ولهذا قال النبي ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** »[١] .

« **سلم المسلمون من لسانه** » ، فلا يسبّهم ولا يلعنهم ولا يشتمهم ، ولا يغتابهم ، ولا ينم فيهم ، كل آفات اللسان المتعلقة بالخلق قد كفّها فسلم الناس منه ، وسلم المسلمون من يده أيضًا : لا يعتدي عليهم بضرب ولا سرقة ولا إفساد مال ولا غير ذلك ، هذا هو المسلم »[٢] .

وجاء في رواية أخرى : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم** »[٣] .

فالأصل أن الإسلام والإيمان يقتضيان من مُدَّعيهما إشاعة السلام والأمن والأمان ، أما من يُروِّع الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم ، بأدنى وسائل الترويع فليس بمؤمن كامل الإيمان ، قال النبي ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلمًا** »[٤] .

وتوضح بعض الروايات المناسبة التي قال فيها النبي ﷺ هذا الكلام ، فرواية[٥] ، تذكر أنهم كانوا في سفر معه ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم

---

(١) البخاري برقم (١٠) في الإيمان ، ومسلم برقم (٦٤) في الإيمان .
(٢) شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين (٢ / ١٦٥٩) .
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٦٧١٠) .
(٤) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٧) .
(٥) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٥) .

إلى حبل كان معه فأخذوه ففزع الرجل ، وأخرى [١] قريبة منها غير أنها تذكر أنهم أخذوا منه سهمًا من كنانته فانتبه الرجل ففزع . . . .

ولا شك أن هذا كله كان على سبيل المزاح ، ومع ذلك جاء النهي لما في هذا المزاح الثقيل من ترويع المسلم ، بل في رواية قال : « **لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًّا** » [٢] .

فكيف بمن يؤذي المسلمين ويروّعهم ليس مازحًا ، بل قاصدًا تخويفهم؟ ، كمن يخوفهم بالسلاح أو غيره من الحِيَل ، يتصل شخص بشخص ينقل إليه خبرًا كاذبًا : ابنك سقط من أعلى . . . . أو لامرأة : زوجك تزوج غيرك . . . وغير ذلك من التفاهات ، ولكن هؤلاء يستحقون لعنة الملائكة حتى يكفُّوا .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديد ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » [٣] ، والملائكة لا تعلن إلا ما لعنه الله ـ عز وجل ـ .

والعجيب أن حديث « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » ، من الأحاديث المشهورة وكل الناس يحفظونه ، ولكن ربما لا يفهم الكثير معناه ، وإلا لو فهموه لرأينا أثر هذا الفهم في واقع الناس .

إن من الناس من لا يُحسن أن يفعل الخير ، ولا يحضُّ عليه ، ولا يترك محبي الخير وشأنهم ليفعلوا . . . وبالطبع مثل هذا الشخص ييأس الناس من أن يتأتى منه نفع ، علاوة على ما يلحقهم من أذاه ، وهذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ : « **إن شرّ الناس من ودَعه الناس اتقاء فُحشه** » [٤] .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٦) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٨) .
(٣) مسلم برقم (٢٦١٦) ك البر والصلة .
(٤) البخاري برقم (٦٠٥٤) ك الأدب .

لذلك كان النبي ﷺ إذا سأله سائل عن أفضل الأعمال أرشده ، فذكر أعلاها وأفضلها ، ثم يتدرج معه في ذكر ما دونها ، وفي الأخير ربما قال له : كُفّ أذاك عن الناس ، أو أمسك عن الشر فإنه صدقة .

واقرأ هذين الموقفين وتأملهما جيداً :

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل؟ ، قال : « **الإيمان بالله والجهاد في سبيله** » ، قلتُ : أي الرقاب أفضل؟ ، قال : « **أنفسُها عند أهلها وأكثرها ثمنًا** » ، قلتُ : فإن لم أفعل ؟ ، قال : « **تُعِينُ صانعًا أو تصنع لأخرق** »[(١)] ، قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن ضعُفت عن بعض العمل ؟ ، قال : « **تكفُّ شرَّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك** »[(٢)] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **على كل مسلم صدقة** » قال : أرأيت إن لم يجد ؟ ، قال : « **يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** » ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، قال : « **يعين ذا الحاجة الملهوف** » ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، قال : « **يأمر بالمعروف أو الخير** » ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ ، قال : « **يمسك عن الشر فإنها صدقة** »[(٣)] .

ومن خلال تأملك وأنت تقرأ ، لابد أنك لاحظت كثرة أبواب الخير المفتوحة والتي ينبغي أن يسارع الناس إليها، لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة :٤٨] ، ورسوله ﷺ يقول: « **إذا فتح لأحدكم باب من الخير فليلجه، فإنه لا يدري متى يُغلق** » .

والعاجز هو من وقف دون تلك الأبواب جميعًا ، فلم يلج شيئًا منها ولا حتى

(١) الأخرق : هو الذي لا يحسن صنع شيء لعجز أو هرم أو نحوه .
(٢) البخاري برقم (٢٥١٨) في العتق ، ومسلم برقم (١٣٦) في الإيمان .
(٣) البخاري برقم (٦٠٢٢) في الأدب ، ومسلم برقم (٥٥) في الزكاة .

أن يكف شره عن الناس ، وهذا ربما لو مات لأراح واستراح .

ومن طريف ما يُروى : أنه قال رجل لحكيم : ما خير ما يُؤتَى المرء ؟ .

قال : غريزة عقل .

قال : فإن لم يكن له ؟ ، قال : فتعَلُّم علمٍ .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : صِدْق اللسان .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : سكوتٌ طويل .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : مِيتَةٌ عاجلة (١) .

قال الشيخ / محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ معلقًا على الحديث الأخير :

« لابد إن كان مسلمًا أن يقدّم شيئًا ، يستحيل أن يكون المسلم عقيمًا ، لا أثر له ولا ثمرة ، وإني لأشعر باستخزاء وحياء حين يقال : جمهرة العالم الثالث من المسلمين ، أو أن المسلمين ذيل القافلة البشرية !! ، أين الأمر العام الصادر لهم ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج : ٧٧ـ ٧٨]، أين الصدقة المكتوبة على كل فرد منهم يؤديها فقيراً كان أو غنيًا ؟ .

الغريب أن الإسلام نبّه إلى صنف آخر من الناس لا يعمل ويكره العاملين ، ينظر بعين السخط إلى ما يؤديه الآخرون يلتمس عيبًا فيه ليتحدث ويطعن في صاحبه ، فعن أبي مسعود الأنصاري لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا ـ أي نؤجر أنفسنا حمَّالين لنتصدق بالأجرة ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقال ـ المنافقون ـ : مُرَاءٍ ، وجاء آخر فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صاع هذا ... ، لا الكثير يرضيهم ولا القليل يرضيهم ، إنهم هدَّامون طعَّانون ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾** ﴾ [التوبة : ٧٩] .

---

(١) ابن المقفع : الأدب الصغير ، (ص٦١) .

والواقع أن العاجزين عن العطاء مهرة في الغمز واللمز ، والأمم التي لا تعرق في ميادين الكدح لا ينقطع ضجيجها في نقد الآخر »(١) .

واعلم أن الصحابة ﷺ عندما كان الرجل منهم يسأل النبي ﷺ عن طرق الخير وأبوابه ، ويقول : « أرأيت إن لم أفعل » ، « أرأيت إن لم أستطع » ... لم يكن هذا لنزول هممهم أو لعجزهم أو بحثًا عن الأيسر ، وإنما هذا لفقههم ، فالرجل منهم يريد أن يفتح أمام نفسه ـ وأمام الأمة ـ أكثر من باب للخير ، وينهض فيعمل بها جميعًا ، ويضرب في كل منها بسهم ، متمنيًا أن يُنادى عليه من جميع أبواب الجنة ، وذات يوم كان النبي ﷺ يحدّث أصحابه ﷺ ليتفاعلوا ويتسابقوا نحو الخيرات ، ذكر أن كل من تميزَ في باب من أبواب الخير يُنادَى عليه يوم القيامة منه ليدخل الجنة ، قال ﷺ :

« ... **من كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة** » فقال أبو بكر ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دُعى من تلك الأبواب من ضرورة ، **فهل يُدعى** أحد من تلك الأبواب كلها ؟ ، قال : « **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** »(٢) .

إننا الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية نجد غفلة كثير من الناس عن كثرة طرق الخير ، وترتب على هذا أن ولج أكثر الغافلين في طرق الشر ، فظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ، وأصبح أقصى ما يتمناه المسلم من المسلم ـ ليس فعل الخير ـ وإنما أن يكفَّ عنه شره وأذاه !!! .

واقرأ وتأمَّل قوله ﷺ : « **خيركم من يُرجى خيره ، ويُؤْمَن شره ، وشركم من لا يُرجى خيره ، ولا يُؤْمَن شره** »(٣) .

---

(١) كنوز من السُّنَّة (ص١٤٨ ، ١٤٩) ، وانظر قصة أبي مسعود في البخاري برقم (٤٦٦٨) .
(٢) البخاري برقم (١٨٩٧) ك الصوم .
(٣) صحيح الجامع الصغير (٣٣٢٠) .

فهل يا أخي العاقل وأختي العاقلة ـ بعد كل هذا ـ ستبقى عاطلاً عن فعل الخير ، ولو أن تكف شرك وأذاك عن الناس ؟ .

إن كفّ الأذى والإمساك عن الشر برغم ما فيه من الخير إلا أنه نفع قليل لا يتناسب مع المكانة المرصودة للمسلمين ، في عمارة الكون ، وقيادة الناس ، وتغيير الوجه القبيح للحياة .

فهل يحقق العجز تلك المكانة :

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

[آل عمران : ١١٠] .

- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .

obeikandi.com